مجلة إنسانيات معاصرة (Revue Inssaniyate Mouãssira)
المركز الجامعي صالحي أحمد – النعامة -
ISSN : 2830 - 8050
المجلد: 01 العدد: 02 سبتمبر 2022 م الموافق لـ: صفر 1444 هـ

المقاومة الشعبية والثورة التحريرية في الشعر الشعبي بولايتي غرداية والمنيعة

أ.د. عاشور سرقمة

أصبح من المعروف عند معظم الباحثين والمهتمين بالدراسات الأدبية الشعبية، وخاصة تلك التي ترتبط منها بالشعر الشعبي أصبح معروفاً بأن لعديد القصائد الشعرية الشعبية أهمية كبيرة في تدوين تفاصيل كثير من المعارك التي لم تدون تفاصيلها من طرف الكتاب والمؤرخين، ولعل الكثير من المعارك لم تعرف تفاصيلها وأحداثها ووقائعها إلا عن طريق ما دونه الشعراء في قصائدهم الشعبية، التي تعتبر أحياناً الوثيقة التأريخية الوحيدة حول هذه المعارك، وتبقى مناطق الجنوب الجزائري في الجنوب الشرقي أو الغربي أو جهة الواحات وغيرها من المناطق التي تحتوي على عدد كبير من الشعراء الذين كتبوا قصائد شعرية، يفصلون فيها ما وقع أثناء المقاومات الشعبية أو أثناء الثورة التحريرية المباركة، إلا أن الكثير من هذه القصائد – للأسف – ضاعت بسبب عدم تدوينها وتسجيلها، وبالتالي تضيع منا وثائق تأريخية هامة حول مقاومة سكان هذه المناطق لمختلف الهجمات الاستعمارية ولعلنا في هذه الدراسة نود الحديث عن منطقتين من مناطق الجنوب الجزائري هما غرداية والمنيعة، لمحاولة الكشف عن بعض الشعراء الشعبيين الذين وثقوا تفاصيل بعض المعارك التي وقعت فيهما، وقد لاحظنا غياباً تاماً للدراسات في هذا الموضوع (دور الشعبي في التوثيق للمعارك بالمنطقتين) ما عدا بعض

الجهود القليلة التي لا تكافؤ منطقياً ما كُتبت من أشعار وأيضاً ما وقعت من معارك طاحنة في مقاومة الاستعمار الهمجي.

ونبدأ حديثنا بالتعريف بالمنطقتين حيث يَبعد مقر ولاية غرداية عن العاصمة الجزائر بمسافة قدرها 600 كلم نحو الجنوب، وتقسم ولاية غرداية إلى بلديات: غرداية، بنورة، العطف، ضاية بن ضحوة، بريان، القرارة متليلي، زلفانة منصورة، سبسب.

أما ولاية المنيعة التي انفصلت عن ولاية غرداية لتستقل ولاية بذاتها في السنوات الأخيرة فتضم من بالبلديات كلا من: حاسي لفحل، المنيعة حاسي القارة.

وتمتاز كل منهما بثرائها وغناها الثقافي والفكري وأيضاً الطبيعي والأثري، وقد شهدت كل منهما عدة معارك خلال المقاومات الشعبية وأيضاً خلال الثورة التحريرية المباركة.

وإذا أردنا الحديث عن المعارك التحريرية التي وقعت في ولاية غرداية فإننا نجد عديد المعارك، حيث في جوان 1959 حاصر العدو الفرنسي مدينة زلفانة وألقى القبض على عدد من المناضلين من بينهم: نواصر بوعمامة وبن خليفة أحمد[1]، وأيضاً منها معركة شعبة النيشان (18 جوان 1960) وكذا معركة مليكة (06 أكتوبر 1961)، وغيرها من المعارك الأخرى، وقد شارك

[1] – أنظر: مختار بن محمد شنينة، إشراقات وسياقات من تاريخ الشعانبة: عرض لأكثر من 1500 حدث وخبر مكتبة العزة في طاعة الله، متليلي غرداية، 2019، د. ط، ص: 100.

بنو مزاب في ثورة المقراني عام 1871 وقد كانت لهم مشاركة قوية في ثورة الشيخ الحداد[1].

أما في بلدية متليلي الشعانبة وضواحيها فإنه تستقبلنا عند مدخل المدينة مقبرة للشّهداء الّذين سقطوا في ميدان الشّرف ضدّ المستدمر الفرنسي في الثّورة التّحريرية الكبرى، حيث تجاوز عددهم 155 شهيدا واستشهدوا في مواقع كثيرة مختلفة من الوطن، أمّا بالمنطقة فنعدّ بعض مواقع المعارك منها:

1- معركة أفران (1957/08/28).
2- معركة الحشانة (أوت 1959).
3- معركة ساقية موسى (1959/09).
4- معركة بولمعة (ديسمبر 1959).
5- معركة تيمداغسين (1960/03/01).
6- معركة فرع الدمغة (1960/03/15).
7- معركة محصر بشقاق (1960/11/01).
8- معركة الحوار (1960/11/02).
9- معركة الجرجير (1961/07/20).

[1] – يوسف بن بكير الحاج سعيد، تاريخ بني مزاب: دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، المطبعة العربية، غرداية ط2، 2014، ص: 135-136.

10- معركة أشعاب لعريق (1961/07/20)[1].

وتوجد مقبرة قديمة، يُروَى أنّها تحوي الشّهداء الأبطال الّذين شاركوا في المقاومة الشّعبية، كمقاومة محمّد بن عبد الله، ومقاومة بوشوشة، ومقاومة أولاد سيد الشّيخ، ومقاومة الشّيخ بوعمامة، وتجدر الإشارة هنا إلى أن منطقة متليلي كانت لها مساهمة في عدة مقاومات شعبية منها مقاومة الشريف بن عبد الله (1851- 1862)[2] ومقاومة محمد بن عبد الله[3] وثورة أولاد سيدي الشيخ (1864–1880)[4] وأيضاً ثورة بوشوشة ومقاومة النشاط التبشيري للآباء البيض (1870- 1881)[5] وأيضاً ثورة الشيخ بوعمامة (1881- 1908)[6].

أما منطقة ضاية بن ضحوة فقد شهدت هي أيضا عدة معارك أثناء الثورة التحريرية المجيدة من أبرزها:

[1] – عبد الحليم بيشي، تطوّر الثّورة الجزائرية في ناحية غرداية، مخطوط رسالة ماجستير في التّاريخ، إشراف الدّكتور شاوش حبّاسي، جامعة الجزائر، 2001، 2002، ص: 130،131.

[2] – الشيخ لكحل، مقاومة منطقة متليلي الشعانبة للاستعمار الفرنسي في الفترة ما بين (1851 – 1908م) دار صبحي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2019، ص: 80.

[3] – نفسه، ص: 108.

[4] – نفسه، ص: 131.

[5] – نفسه، ص: 176.

[6] – نفسه، ص: 228.

1- معركة الرواحي 1958: وقعت بين جماعة من المجاهدين بقيادة رابح عصمان و مساعدوه بوعبدلي حمادي، ماضوي فضيل، وبحبح عبد الرحمان استغرقت ثلاثة ساعات[1].

2- معركة بئر محمد بن سالم 1959: كانت بالمكان المذكور جماعة وهم كالآتي: القائد :عرابة محمد والنائب: رابح لبيض ومن الجنود: مصباح بغداد وبوسماحة علي وبوجرادة موسى والشرع بغداد[2].

3- معركة البسابسة 1960: وقعت المعركة يوم 17 جانفي 1960م ودامت يوما كاملا كان في المركز المذكور جماعة من المجاهدين وهم: القائد: عيسى عميّر ونائبه غراسلية سليمان أما من الجنود نذكر أولاد أقويدر الطيب ولصقع محمد ولشهب معمر ولشهب سالم وغراسلية عبد القادر وغيرهم[3].

4- معركة بوشنيقيرة 1961م: دامت يوما كاملا، استعمل العدو فيها أحد أنواع الأسلحة وجنّد لها عدد معتبر من الرجال منهم القائد: إشلاوة أحمد والنائب: ظاهر محبوب ومن الجنود: العيورات عبد الله والهاشمي لمنيعي محمد بلزعر ولصقع أحمد وغيرهم[4]...

[1] – أبو حميدة إبراهيم،ضاية بن ضحوة تاريخا، قبل وأثناء ثورة 1954، مطبعة الآفاق، نوفمبر2010 ، ص 25

[2] – نفسه، ص 27.

[3] – نفسه، ص 29.

[4] – أبو حميدة إبراهيم، ضاية بن ضحوة تاريخا، م. س، ص 32.

أما بخصوص المقاومة التحررية في ولاية المنيعة فإنه خلال الاحتلال الفرنسي للمنيعة سنة 1873م قاوم سكانها المستعمر لاسترجاع الحرية وشاركوا أيضا في المقاومات الشعبية التي عرفها الجنوب الجزائري منها مقاومة الأغواط في 1850م، ومقاومة الشيخ بوعمامة سنة 1890م و1911م حيث يمكننا الإشارة هنا إلى أن الشاعر محمد بلخير بعد الخيانة التي تعرض لها التحق بمدينة المنيعة بالجنوب، وذلك قصد جمع قوات جديدة للكفاح وكتب في ذلك قصيدة يقول فيها:

«اضياف الله يا اركايز رجال الديوان كذا من شيخ في المنيعة
محمد حاجته قضوها بالي كـــان يا مناعين كل منعـــة
حيين ونايمين نطلبكم جيـــران صدوا للمضيف بالجماعة
يا ناس الجود والجدا واهل البرهان غيثوني بالغلام فزعـــة
تلميذ الشيخ واجبوني بالي كـــان والزاير بايتُه الطمعـة»[1]

إلى قوله:

«الناس اللي جاهدوا جن واجنان وانحلهم في الخلود يرعى
يجعلنا من خيارهم نضحوا جيران قبل الا تخلق الشفعـــة
احنا والوالدين الاحباب والاخوان والتابعين والتبعـــــــة

[1]- بوعلام بالسايح، أشعار الهوى والوغى لمحمد بلخير: نصوص من التراث الشعبي الجزائري، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 2007، د. ط، ص: 98 وما بعدها.

في حرم المصطفى شارع الاديان نختم بفضايله الدعاء»[1]

وقد لعبت المنيعة خلال الثورة التحريرية دورا محوريا في تنقل الثوار وتخزين الأسلحة وشهدت 18 عملية عسكرية إلى غاية الاستقلال في 5 جويلية 1962م.

وسنحاول الوقوف في بحثنا هذا عند عدد من الشعراء الشعبيين الذي دونوا لنا عديد الأحداث المرتبطة بتلك المعارك سواء في ولاية غرداية أو ولاية المنيعة بمختلف بلدياتهما.

ولعل من أهم شعراء غرداية وخاصة منطقة متليلي الشعانبة نجد الشّاعر قدّور بن الأخضر بن يعيش بيتور، ولد بمتليلي الشّعانبة عام 1860 من أسرة ميسورة الحال، من عرش (قبيلة) أولاد عبد القادر فرقة القمارة أبوه الأخضر وأمّه شفيرية بنت أحمد الشلقي[2]، كان دمث الخلق، حاضر النّكتة، ضعيف الجسم، قصير القامة، ورعا تقيّا يخاف الله تعالى، التحق بمدرسة قرآنية (كتّاب) بمتليلي كشأن كلّ الأطفال في المراحل الأولى من حياتهم.

[1] – بوعلام بالسايح، أشعار الهوى والوغى لمحمد بلخير: نصوص من التراث الشعبي الجزائري، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 2007، د. ط،ص: 103.

[2] – ينظر: بن لخضر قدور بيتور، الدر المنثور من شعر بن لخضر قدور، جمع وتنسيق لعمش حسين وآخرون، دار صبحي للطباعة والنشر والتوزيع، متليلي غرداية، ط1، 2020، ص 26.

وقد ضايقته السلطات الاستدمارية وذلك لما تعاظم خطره على العدو المحتلّ من جانب تناوله موضوعات الفتوحات الإسلامية ببلاد المغرب وتحرير شعوبه من ربقة الغطرسة الرّومانية؛ شعرا وغناء، ومن جانب آخر عزوفه عن مدح القائد باعتباره خادما للمستدمر الفرنسي، حيث يقول متحسّرا صابرا:

« يا فاهم معنى قصتـــي نصبر انتجيني ساعتـي
نرجى[1] لبطـال رفاقتـي وبارد لكتـاف ذليـــل
بلّخضر قـال اكفايتـــي وصبري للمـولى راحتـي
واحـلال الرزق تباعتـي ولا طال عـمر يختـيل[2]
من لبحـر سقيت دوايتي وخرّجت طوابـع نسختي
وسال العاقـل يلا تفتـي وسال اصحاب التّنزيل»[3]

إنّ المتصفّح للحقبة الزّمنية الّتي عاشها الشّاعر قدّور بلّخضر (1860م–1921م)، يجدها حافلة بثورات شعبيّة عدّة، فإذا استشعرنا الرّوح الثّورية في شعره؛ ألفيناها طافحة طافيّة حيث كان كثير النّظم عن الفتوحات الإسلاميّة ببلاد المغرب العربيّ، ثمّ يحزمها بشعلة داعيا من خلالها إلى التّحرّر، واسترجاع الماضي المجيد، ولَكَم كان تأثّره شديدا بـ: "عبد الله بن جعفر" الّذي ورد ذكره في عديد قصائده.

[1] – نرجى: أنتظر.
[2] – يختيل: من الختل، بمعنى المخادعة.
[3] – العتلة محمّد، مخطوط ديوان الشّاعر الشّعبي الشّعاني قدّور بلّخضر بيتور، ورقة: 118.

وإنّه دائم التّفكير في الثّورة، وقد كتب عدة قصائد يثني فيها على الشيخ بوعمامة البكري[1]، واستحضاره للمغازي والفتوحات التي قام بها الصحابة والفاتحون، والمدهش في شعر قدّور بلّخضر بيتور هو ذلك الرّبط العجيب بين الملحمة في نهاية القصيدة؛ وبين الواقع الأليم ليحيل إلى مقارنة ضمنية تضفي إلى رسالة مفادها حتمية اليقظة وتحرير البلاد اقتداء بالأجداد من قَبْلُ، كقوله مثلا في قصيدة فتح في مدينة المروة:

«قولي على ابطال ان رخسوا لعمار ضاري لوين هدو زنجار الـــروم
واللي من بعدهم حكم الباطل جار والحق غاب عاد اشعاعو مردوم
توفي بطلبتي يا عالم لسرار قدور في حجاب الجنا مرحـوم
هواو خاوتو وجميع الحضار والمسلمين لا شاقي لا محـروم
بجاه بوعمامة قطب الزيــار والصالحين والهادي سيد القوم»[2]

وقوله في إحدى غزوات عبد الله بن جعفر:

«مايعمل عبدالله وصربتو قاع الرّوم فناهم
وهداو الدّم يسيل عالسواحل كي سيْل الواد
بداو بشرح الدّين والجوامع الامير بناهـم
هداو العلم والاذان والصلا والحزب ولوراد

[1] – بن لخضر قدور بيتور، الدر المنثور من شعر بن لخضر قدور، م. س، ص: 43.
[2] – نفسه، ص: 137.

وانا قولي عالتّايكين وعلاه الحز بلاهـــم

ضاري نوبا ويهجموا على الرّوم بلا تلباد»[1]

ويقول في مطلع قصيدة "فتح سطيف":

«صلّوا على النّبي يا حضّار هنايا طول الدوام من نورو لا يطفا

صلّوا عليه وارضـوا علخلفا»[2]

ويتَّضِح تلهّف شاعرنا وتَوْقُه إلى أبطال يغيّرون واقع البلدة المغبون أهلها تحت نير الاحتلال وسياطه الملهبة قائلا:

«..شرحو الدين ومناهل كل اقرايا بالصوم والصلا وآذان الوقفـــا

قولي على ابطال ان كانوا لقّايـا يوم الطراد وعدوهم مرجوفـــا

وعلاه بعدهم تشعر ذا الغنايـــا وعلاه ذا الطرب واعلاه العزفا

واعلاه تحسبوا من جابت ضنايا وعلاه جودنا بعد النيافا»[3]

وفي قصيدة أخرى يقول:

«بعثو قايد من ثريبـــــة ومن الليل ادعا بقربـو

وكتب عبد الله لعقبـــة قد الحرف على اجوابو

شار بقول على الصحابا يا فرسان اللا تهيبـــو

[1] – بن لخضر قدور بيتور ، الدر المنثور من شعر بن لخضر قدور، م. س، ص: 151.

[2] – نفسه، ص: 118.

[3] – نفسه، ص: 125.

واسيادي وجدوا بركبـة بطنابر واطبول ضربــو»[1]

ويقول في آخرها:

«وابكي يا عيني على ميعاد ان كان من بعدو لتراك حقرو
توفي قصدي يا الله انت الحنـان والمداح تكون ستــرو
بن لخضر تسقيه من جنة رضوان من لظى تمحي اضرورو
نا والمسلمين وجماعة لخــوان يا غفار اللي تغفرو»[2]

ومعلوم أنّ مجرّد ذكر بطولات القادة الكبار، تلهب النّفوس حماسة توقا إلى المجد والعزة والفضل، وترك الخنوع والخوف، والموت والاندفاع بقوّة للذّود عن حمى الدّين والوطن، فما بالنا إذا كان الشّاعر يصوّر ببراعةٍ الأحداث والشّخصيات؛ مفصّلا بدقّة متناهية الجوانب التّاريخية والنّفسية والاجتماعية لخدمة الوعي الوطني؛ وذلك حتّى بعد موت الشّاعر بأكثر من عقدين، حيث أنّ الكثير ممّن كان يحضر الحفلات الّتي كان ينشد فيها شعر قدّور بلّخضر بيتور يتوجّهون مباشرة للانخراط في صفوف الثّورة التّحريرية الكبرى، وذلك لما تحويه هذه القصائد من شحذ للهمم وإلهاب لروح الجهاد في سبيل الله عن طريق حَبْكِ صور واضحة مؤثّرة من الملاحم، الّتي خاضها الأسلاف لإعلاء كلمة الله تعالى والدّعوة للتّحرّر.

[1] – بن لخضر قدور بيتور ، الدر المنثور من شعر بن لخضر قدور، م. س، ص: 175.
[2] – نفسه، ص: 175.

وقد اهتم الشاعر الشيخ قدور بلخضر بيتور بشعر المغازي الذي استحضر من خلاله بطولات الصحابة وفتوحاتهم من أجل نشر الإسلام والدفاع عن بلاد المسلمين، استحضرها حتى يدفع المجاهدين في الجزائر للدفاع عن وطنهم وتحريره اقتداء بأسلافهم من الصحابة[1].

يعدّ الشّاعر بلّخضر قدّور بيتور من الطّبقة المثقّفة في عصره؛ إذ كان ينهل من أمّهات الكتب المتوفّرة في تلك الحقبة الزّمنية، وامتاز شعره بقدرة عجيبة في قراءاته لغزوات فتح الشّمال الإفريقي؛ على يد أبطال أشاوس كعقبة بن نافع وعبد الله بن أبي السّرح، وكان في الجيش «عبد الله بن عبّاس وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن الزّبير وعبد الله بن جعفر والحسن والحسين ابنا علي (رضي الله عنه) أجمعين لذلك سمّي هذا الجيش: جيش العبادلة...» [2]. وتحويل هذه القراءات إلى ملاحم مصوّرة تصويرا دقيقا، فهو بمثابة المخرج السّينمائي الّذي يجمع شتات عناصر القصّة في سبك عجيب، ثمّ يحيل إلى مقارنة واقع قومه ودولتهم بما قدّمه الأسلاف من تضحيات جسام في سبيل إعلاء كلمة الله تعالى، وحرية الإنسان على ظهر

[1] – أنظر في ذلك: عاشور سرقمة، المغازي في الشعر الشعبي عند شعراء الجنوب الجزائري، مجلة الفنون الشعبية المملكة الأردنية الهاشمية، وزارة الثقافة، ع/24، 2018، ص: 26 وما بعدها.

[2] – ينظر: محمد عمر الدّعة ومؤلفون معه، سلسلة الأبطال، المجلد 7، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت ص:256.

هذه البسيطة، داعيا إلى الانتفاض بأسلوب يخاطب الرّوح دون ضوضاء أو ضجيج.

ونورد هنا شاعراً آخر من شعراء متليلي الذين تناولوا موضوع الثورة التحريرية في أشعارهم هو الشّاعر الحاج محمّد زيطة، الذي ولد بمتليلي الشّعانبة سنة 1929، حيث كانت أسرته كغيرها من أهل البادية تعتمد في حياتها اليومية على الحلّ والتّرحال، التحق بالكُتّاب عند الشّيخ الطّالب معطالله عبد القادر، فحفظ جزء ياسين، وشيئا من الفقه، وذلك لأنّه كان يزاول التّحصيل أثناء الحلّ وينقطع عنه أثناء التّرحال.

وفي عام 1950 استقرّت أسرته بمتليلي، وبدأ العمل بغرداية؛ ومنه اتّصل بالشّيخين: بيتور محمّد بن الشّيخ وابن ناجم جلّول، اللّذيْن كانا يحفظان شعر الشّاعر قدّور بلّخضر بيتور.

وبذلك صار شاعرا ينظُم القصائد الوطنية والثّورية وغيرها، صاقلا قريحته بما حفظه من شعر سابقيه وخاصّة شعر قدّور بلّخضر بيتور.

يغلب على شعر الحاج محمّد زيطة النّزعة الثّورية والوطنية، متأثّرا بما عاينه وشاهده من ويلات الاحتلال الفرنسي، فنجده يفصّل حادثة حصار مدينته متليلي في 20 سبتمبر 1960، الّذي أمر فيه القادة الفرنسيون بقَنْبَلة المدينة، إلاّ أنّ الطّائرة المقَنْبِلَةَ احترقت مباشرة لحظة استوائها في الجوّ فاعترف العدوّ أنّ المنطقة محروسة بقِوى خفية، فعدل عن محاولته حرقها

مكتفيا بتنكيل أهلها، وحصار المدينة، وحشد المواطنين في العراء لمدة أربعة أيّام دون أكل أو شرب[1]، فيقول:

«باقي نعيد عليكم قصّة يا سامعين واتصنتو نشدتها يا لخوان

قصّة متورخة في هذا الوطان

قصة متورخة في عام السّتيـــــن صارت بشعب متليلي شاف امحان

حشدت فرنسا قوّتها متحربيـــــن باسلاح وعساكر نعت الجـــردان

حلفت ايمينها تحرق متليلي ادخين كي جات للحدادة بان البرهـــان

حاكم يقود فيهم لخبارو طايعيـن واركب طايرة فرت بالجنحـــان

كي جات واعدة متليلي طاحـــــت بحين حرقت الطّايرة شعلت بالنّيران

جملو الشّعب في البطحا[2]كل مخلطين ريجال ونسا وشيوخ وصبيـان

ربعَ ايّام عادوا في غبنة داهشيـــن بالجوع والعطش صوم بلا رمضان»[3]

وفي ذكرى اندلاع الثّورة التّحريرية المجيدة، أنشد الشّاعر قائلاً:

«نبدا قولي ياناس شهر الذّكرى هو السّاس

نوفمبر يا قياس نحيو ذكرو يا فاهمين

[1] – أنظر تفاصيل هذه الحادثة الأليمة في: سليمان بوغلابة، حصار 20 نوفمبر 1960م لقلعة المقاومة ومهد الثورة متليلي الشعانبة، دار صبحي للطباعة والنشر والتوزيع، متليلي غرداية، ط1، 2015، ص: 83 وما بعدها.

[2] – البطحا: من البطحاء وهي حيّ من أحياء مدينة متليلي.

[3] – لقاء مع الشّاعر الحاج محمّد زيطة بتاريخ: 11ديسمبر 2008.

درنا ليه احتفال من عام لعام إلاّ تسال

بفضل ذوك الرّجال قاموها في سبعا اسنين

قاموا باحديد اسلاح في وقت الثّورة يا ملاح

هما ناس الكفاح خرجو ليها متجندين

وقت الثّورة دعّاس يقودوه أبطال رصاص

رفدو عنّو للباس كسوة ومونا والعوين»[1]

أما ولاية المنيعة فقد كانت الثورة التحريرية أيضاً حاضرة في أشعار شعرائها الشعبيين، وسنورد فيما يلي بعض النماذج من خلال شعرائها:

هو الشاعر (شبير جلول بن ابراهيم بن ابرهيم)، ولد سنة (1920م) في مدينة المنيعة، من أسرة متوسطة الحال، تعيش حياة الترحال من مكان إلى مكان في صحراء المنطقة، والده الشاعر(ابراهيم بن ابراهيم) الذي لا يستطيع الحياة من دون الشعر، ووالدته هي مسعودة، استمرت حياة الترحال والرعي وتتبع مساقط الغيث حتى فترة (1945م)، وبعدها استقرت العائلة في المنيعة.درس الشاعر في مسجد المدينة القرآن الكريم والسنة النبوية وبعض المدائح الدينية كالبردة، إلى جانب ذلك درس بعضا من اللغة العربية.

[1] – لقاء مع الشّاعر الحاج محمّد زيطة بتاريخ: 11ديسمبر 2008.

توفيت زوجته سنة (2003)، لم يستطع الالتحاق بالثوار والمجاهدين لأنه المعيل الوحيد لأسرته، خصوصا بعد وفاة والده سنة (1948م) ولم يمنعه ذلك من أن يشارك ببعض الأعمال كإيصال المئونة والسلاح للمجاهدين ويوافيهم بالأخبار.[1]

وبما أن الشاعر عايش الحرب والثورة، فقد جادت قريحته بمدح الثورة خاصة ثورة (الشيخ بوعمامة) وأصحابه، فقد تغنى بخصالهم وشجاعتهم في كثير من قصائده، والتي نذكر منها (قلبي بهلول في هوى بوسبع قباب)، يبدأ القصيدة بحارسة يذكر فيها مدى حزنه على رحيل أولاد بن الدين:

«قلبي بهلول في هوى بوسبع قباب الليل مع النهار كاثر تنهاتو
رحل البيضة بعيد هو واولادو»

ثم يواصل ذكر حزنه على فراقهم وانتظاره عودتهم دون جدوى:

«ما نرقد ما نوم طابو لي لجناب من هم الي هداو جوابيا يقدو
نظل نطل فالهوا ديما لولاب وندنق كل يوم طول تيعادو
رحل البيضة اللي تعاني لو لركاب من كل بلاد كلها رافد زادو
باقي هبة شوارهم تبرا لعطاب يتطرح خاطري مجالس ميعادو»

[1] لقاء مع الشاعر نفسه بتاريخ 10 . 08 . 2010 م على الساعة الخامسة مساء .

ثم يستذكر خصال أولاد بن الدين وشجاعتهم وإيمانهم الكبير:

«في واد اربا مبيحا قداش بـــاب عز اللي قاصدين يوفي ميـرادو
خلاو لوطان عامرا بطيور ضبـــاب بمخالب يقلعو القلب إلا هدو
أولاد بن الدين حسهم في كل تراب بركة والنور والنصر قبـــل زادو
بكر بن الدين رايس لصحـاب حبيب الهاشمي أحمد عند اوسادو
يا حوجي ما يعدلو يوم تصعاب راه التاريخ في المجالس يتعـــدو»

ثم يعود في آخر القصيدة إلى استذكار خصال أولاد الشيخ بوعمامة و يتوعد من يحاول أن يتعدى عليهم:

«أولاد الشيخ بوعمامة ياللقـــــاب قولو للغالطين بالاك تتعدو
يا ويح اللي اوطا على راس المشهاب كياتو ناطفين بعد اللي بردو
النجع اللي شوايعو في كل تراب من جد لجدكل طاوي بقـــرادو
أهل مراكيب خيل قرح في الاداب وأهل سروج المسيل قداح ترصـدو»

ويشيد الشاعر في إحدى قصائده بدور الجمال أو البعير في المعارك أثناء الثورة التحريرية فيقول في قصيدة (هدف لي تفكير في هموم البعير) فيقول :

«سولني واش يدير في نهار النفيـر راه التاريخ اقبالـو
يوم ناض الوكواك[1] في نهار العراك قطع قيدو و عقالو

[1] . الوكواك : المنادي الذي نادى في ليلة أول نوفمبر .

هذا بابور البر في ليالي يقـــر مولاه قصب تيجالـو
رافد ثلث قناطر قليل هذا العبر ذرعيه يروق يشالـــو
الأرض مقاطع كتان بالحفى والليان[1] يعبرها كي تهوالو»

ويذكر مشاركته في توصيل المئونة للجيش والمجاهدين فيقول:

«ما يرفدش البكرا معمد على السرا ونجوم المغرب حالو
بيه فراسين اللوم يخبرو على النجوم والصبح يحط اتقالـو
واعد جيش العمدة مراكز مقيـــدة يوصل للجيش أنوالو»

ويشيد الشاعر بجيش التحرير الذي لا يهاب ولا يخاف من المستعمر والذي ضحى بالنفس والنفيس من أجل تحرير الوطن فيقول:

«الجيش اللي يقساح[2] يوم همس السلاح قطع للكفر احبالو
جابو ملح البلدان لدزاير تبـــان فتح ذا الوطن قدالـــــو
عنها بليون ونص مات هاذ الدس في طوبة[3] ثم احتالـــو
نشكر راجل وبعير والمرا والصغير كل ضمير بمشعالـــــو»

ويصف البعير بأنه مثل التلغراف يوصل الأخبار، وبأنه يشبه طائر القطا فيقول:

---

(1) . الحفى و الليان : الحجارة و الرمال .
(2) . يقساح : شجاع و لا يهاب المخاطر .
(3) . طوبة : التراب .

«هو ما عز الركبة تقرب الصاعبة يفتو للراي خبالـــو
يسمى تلغرام في ليالي ظـــــلام جاب أخبار اللي قالو
ارواح منين تغير شاب راس الصغير فرق قطاكي يتوالـو»

والشاعر جلول شبير أيضاً كتب في شعر المغازي حيث كتب قصيدة طويلة يستحضر فيها انتصارات الصحابة والفاتحين على الكفار ولعله هو أيضاً بذلك يذكر المجاهدين في الثورة التحريرية بانتصارات الذين سبقوهم في الدفاع عن الإسلام والأوطان، ومما تناوله فيها نجد غزوات الفاتح (عقبة بن نافع) و(عبد الله بن جعفر) و(الزبير) و(رافع) وغيرهم من الصحابة، وهذه القصيدة هي (مقوا عيني تبكي على اللي طال شناه دايم). بحكم أنهم من فاتحي شمال إفريقيا، فقد أصبحوا قدوة للمسلمين، وتناقلت سيرتهم وأخبارهم من طرف الرواة من عهد إلى عهد، فجادت قرائح الشعراء بتمجيد غزواتهم في أشعارهم.

وفي بداية القصيدة يحكي أخبار مناد (عقبة بن نافع) ويعظم شأنه:

«مقوا عيني تبكي على اللي طال شناه دايم
أهل البركة والنور والنصر فتحو كل بلاد
هات خبر الغزوات واش دار الطاوي مناد
هات خبر الغزوات ما يعـدل مناد القايم
على صربة لبطال وين حتلت ذاك الميعاد

بن مخزوم نقار للطلوب نهار تتـلايـــــــم

وابن هاشم الأحرار يا حجاب الجيش العماد

أهل الحال المنقود وأهل سطلا والدق العاظم

وأهل عوالي وسيوف يقسمو حجر الصم زناد

أهل سروج المدقور كل فارس بالعدة قايـــم

وأهل ركابات منين يتقبوا كي البدر الوقاد

سولني واش طرا نعيد عنك فصة يافاهـــــم

ويوم فتحوا لجدار واش داروا صربة لسياد

قصة منها شاب لغراب وتهز قلوب الباكــم

وتهون الدنيا الفانيا ويبكو منها الأتماد»

ثم يشرع بعد ذلك في سرد القصة، ويصف حالة الجيشين المسلم والكافر، واستعدادهم للحرب، واستهانة ملك الروم بمناد وبجيش المسلمين:

«ياسيد لحق بعساكرو وقداو بندة للرحـــول

جاب علامات يسيرو بزهير قوايطوالطبـــول

الكـافر زاد طنابـــرو وجد عمالو والعقــول

قاللهم واش اندبـــرو لاه عريب علينا تصول

احنا فرسان نستـــرو تسمع بينا قاع التلـول

لازم مناد نسيـــــرو ونكتف عقبة بالغلـول

صربة لبطال تشهـرو ساوا والعدة على الخيول

قال احنا لازم نـامرو باه الخصلة قبل الرسول»

وبعدما اشتدت الحرب بين الجيشين أظهر المسلمون شجاعة وبسالة من أجل الدين والشهادة، وظفروا بانتصار عظيم ومنوا الكفار هزيمة نكراء:

«طعنو نسيوف يبيدرو وبلاو الكفرة بالعلـــــول

عادو فالروس يطيــرو حصدوهم كي حصد السبول

سولني على لصحاب واش دارو بالجيش الحاطم

وخلاو من المسندين بثلاثين ألف عداد

عقبان على لرعال هودوا وقدا الريش قسايـــم

فزو وقدرهم بان حال بيهم رحلو لهداد»

ويتوعد الملك برد الكيل للمسلمين، وتشتيتهم فأغار عليهم في منتصف الليل وهم نيام، وقتل من قتل، لكن (عبد الله بن جعفر) يخفف عن المسلمين ويذكرهم بأن الله لن ينساهم وأن ما حدث مقدر ومكتوب لا مهرب منه:

«حتى في نص الليل طاح عليهم بجنود زادم

معظمها على لصحاب على بيهم في وقت رقاد

نزل عليهم بسيوف لعوالي والدق العاظـم

وتسمع غير النسوان بالبكا وضجـــة الأولاد

تجملو على الامير بالقبايل ولان تتايم

وقاللهم عبد الله اليوم هاذا ربي مـــا راد

كان احنا حيين نخلفو نقمة كل قايـم

وعشرة بعشرة وزنات والحديث خبرو ينعاد»

ومن شعراء المنيعة أيضاً الذين احتفوا بالثورة التحريرية ومقاومة الشعب الجزائري للمستدمر الفرنسي نجد الشاعر الشيخ مسعودي رحمه الله الذي يقول في إحدى قصائده:

«الشهدا رفعوا للدزاير سمعتها بعد قرن وثلاثين زايد عامين استعمار

يحسن عوني عفست على جمرتها وقت الثورة كان عمري من الصغار

ثلاثمية شهيد زيد ثلاثين معاهـــا وماذا شافو من معارك والدمّـــار

والشهدا جميع نخترم قبايلهـــا كل بيت بيت وفـــــرد ودوّار

يا طالب أقرا عالمعارك وأفهمهـا ولا تنسى أرواح الشهدا الأبـــرار

معركة جرجير عندك لا تنساهـا تقعد للتاريخ كي وضح النهـــار

ومحصر بشقاق للغرب حداهـا في متليلي كان مجمع للثـــوار»

والقصيدة طويلة حيث يؤرخ الشاعر للمعارك التي جرت وشارك فيها أبناء الجنوب من محصر بشقاق والجرجير إلى جبل بوكحيل وكسال غربا ومعركة قصر الحيران والشلالة شمالا إلى معركة جبل عيسى إلى الحدود التونسية شرقا.

كما نجد أيضاً الشاعر علي بلحاج[1]: هو علي بن قويدر من محمد بن الحاج، وأمه النوية بنت قدور بن محمد بن الساسي بن سيد أحمد بن أحمود، ولد بالمنيعة يوم الاثنين 12 عاشوراء 1321هـ الموافق لسنة 1903م بالمكان المسمى "فجيجة النياق" والتي تبعد عن المنيعة بحوالي 70 كلم.

في سنة 1930 كان أول اتصال وانخراط له في صفوف الحركة الوطنية بعدها في سنة 1935 انخرط في جمعية العلماء المسلمين بمكتبتها بالمنيعة تحت اشراف المرحومين عمار الساسي والطالب حمة بلحاج وكان هذا المكتب يشرف على كل من مدينة عين صالح، ورقلة، متليلي، والمنيعة وفي سنة 1936 عيّن كمندوب للمكتب في المؤتمر الذي انعقد بمدينة الجلفة.

وافته المنية يوم 15 سبتمبر 1991م على الساعة الثالثة ظهرا بمستشفى المنيعة.

ومن الشعر الثوري له نجد أنه يصف اللحظات الأولى لدخول المحتل الفرنسي للأراضي الجزائرية:

«نبدا ننظم نعيد لك هذا المقال ثبت عقلك مليح وتصنت ليـا

تاريخ الحادثة الدولة الفتية

التاريخ اللي مفصّل بالتفصـــال على الجزائر قديم وأفهم معنايا

وقت الأتراك نخبرك على الاحتلال عام ثلاثين بعد الألف وثمنميـــة

[1]– نبذة عن المجاهد علي بلحاج، انجاز مكتبة فوريم، حاسي القارة، المنيعة.

يوم إن هجمت فرنسا على الوطن قبال من باب فرج دخلت جنود قوية»

ويستمر الشاعر في وصف الواقعة متتبعا أحداثها بدقّة وبراعة والغيض والحسرة يملآن صدره ويشعلان نار الثورة به.

أما شقيقه الشاعر حمّة بلحاج فيقول في نفس الغرض واصفا إحدى الذكريات التي عايشها فيقول[1]:

«يوم ربعة أفريل كي تكشفوا الأستار وتوضّح ما كان خافي بأسرارو
ترى القوم موزعة في شاو نهـــار مقسومة حوزات نايض غبـارو
يا الإسلام علاه عدنا ربع أشطـار ويوم العيد الكل يسبح بأذكارو
ماذا افعل بينا الكافر الاستعمـار شتّتنا كالريش بأرياح أمكـارو

إلى أن يقول واصفا حال المجاهدين:

«ويوم الهول الدم يجري كالأنهار بالخشري والكور صيّح مسمارو
طيّارة وأطْنَاكْ والمدفع زغـدار دار أكباده في السما ثاقبة نارو
والمنافقين تذبال أو تصفـار وحزب الله باينة ليه أشـوارو»

وله قصيدة أخرى يثني فيها ويشكر المجاهدين قائلا:

«الشكر نخصصو للمجاهديـن اللي مسمينهم جيش التحرير
انصرهم يا الله بالنصر المبيـن منك ياتي النصر وأنت يا قدير
انصرهم كيف ما نصرت الأولين أصحاب رسولنا البشير النذير

[1] – لعمش بوعمامة، مخطوط كتاب على مدارج النضال للمجاهد محمد جبريط مصدق.

كيما أيدتهم بنصرك في حنين في يوم أحد وبدر وفي وقعة خوبير
بجاهك يا الله عِين المظلومين وبجاه اللي يكون جاهو ليك كبير»

وتجدر الإشارة في الأخير إلى أن الثورة التحريرية والمقاومة الشعبية بغرداية والمنيعة أيضاً كانت حاضرة في الأشعار الشعبية التي أصبحت السنوة خاصة يتغنين بها في مختلف المناسبات، وسنورد هنا بعض النماذج من الأشعار التي تتغنى بها النسوة عند مذابيح بلدية ضاية بن ضحوة ومنها:

«يَوْمْ مِينْ رفْدُّوا اَلْمِيرْ وِابَيِّكْ يَابَكَارَهْ وُيَاْعَاْيْشَهْ وِيْنْ دَارْ سِيـــدِكْ
يَارَبِّي حُطْ رَحِمْتَكْ رَانّا مَاْطُقْنَـــاشْ حِسْبُوهَاْ كِيْ اَلْجَلَبْ وْ رفْدُوا
مُحَمَدْ هِزْ قِبِلْتِكْ رَاهْ لِعْلَامْ طَـــاحْ وْقَاعْ ارُيَّاسْ لَقْطُـــــوهَا»

وأيضاً:

«اَلْرُومِي جَابْ وَرِقْتُواْ وقَالْ اعْلَى اَلْشِهْبَّانْ وِاَلْعِيْدْ ايْقُولُوا ابْرِيـزُوا
امْعَمَرْ فَكْـــهَا فِيْ يَـــــوْمْ اَلْمَعْرَكَـــهْ وْيَمِينَهْ جَابِتْ نْمُـورَهْ
اَلْعِيدْ انْتَا شْوَايْعِكْ جَاتْنِـــي مِنْ ابْعِيـــدْ وْيَمِينَهْ جَابْتِكْ وَحْدِكْ
أنَّا مَا شُفْتْكُمِشْ رَانِي غِيْرْ نَسْمَعْ بِيكُـــمْ واَلْقَوْلْ ايْوَاتِي سْبُوعَهْ»

وأيضاً

«اَنّا حَالْفَهْ ايْمِينْ مَا انْدِيْرْ اَلْحِنَّهْ غِيرْ الاَ خَرْجِتْ افْرَانْسَا مِنَّا
اَلْطَيَـــارَهْ رَافْـــدَه بِنْ بَلَّـــهْ هِيَّ اذْهَبْ وُرَاسْهاَ فَضَـــهْ
اَنّا حَالْفَهْ ايْمِينْ مَا انْدِيْرْ اَلْحِنَّهْ غِيرْ الاَ خَرْجِتْ افْرَانْسَا مِنَّا
طَالْعَهْ لِلْبِيرْ وْ رَاسِي عِرْيَـــانْ كِي ايْجِي بُومَدْيَنْ انْبَايْعُولُوا»

وأيضاً:

«ياناس الخير بشروني بن بله سرحوه ولا مـــــــزال
البيوعي ايلبسوه اشكـــــاره ولا ايهدمولوا سنيـــــه
بن عمي في الحبس ميـــت والبيوعي في دارو فرحان
الكرسي يستاهلوا بن بلـــه ولي ايسرحوا المحبوسين»

ومنها أيضاً:

«شُفْتْ إمْلِيكَهْ إمْسَرْكْلَهْ كِي الدِبـانْ
عْلَى إطْيُورْ إسْرِيكَهْ و لْقَلْبْ رَاه حَايِرْ
لِيْلِتْهُـــمْ هَامَّا اعْجَـــاجْ وْقَبَـــارَهْ
وَاشْ مِنْ سِبَهْ لَاحِتْ خَـــاوْتِي اهْنَا
رَاهُمْ رِفْدُوا البُومْبَهْ فِيْ اَلْطَيَّـــارَهْ
رَاهُمْ شَافُوا خُوتِي فِي الدَارْ طَيْحُوهَـــا
خُوتِي لَحْرَارْ هَامَّا كِي إيْشُوفُوا ذِيْ اَلْجُنُودْ»

وكذا:

«اَلْعِيسَاوِي وَاْشْ دَارْ انْ بَاصَيْتُوُهْ
يَا سِيدِي الكُومِنْدَانْ وَاشْ إتْسَالُوْا
اَلْعِيسَاوِيْ رَاهْ فِي اَلْبَاطِلْ مَحْبُوسْ
وْيَعْطِيكُمْ يَا بِيبَانْ اَلْنْصَارَى تكْسَارَى
وْكُلْ لَيْلَهْ عَنَّا اَلْبِيبَانْ يِصَّـــالُوا»

ومنها:

«راني مَتنويّه عْلَى بُومدينْ كِي سَكّْرُو اعْليهْ البِيبَانْ
يَبْكوا اعْلِيه الشُّهَـــادَا وَعْلَى ابَّيْهَمْ زَين الرَّايَسْ
رَاهُو امْسَامِي الأمير عَبْدَ القَادَرْ لِي ابْقَى ايْزُورُو يَعْطِيـه
أَنَا وَالخَاوَه قَاعْ نَاطْحِين رَاهْ مْخَلِّي خَطّْ اطْرِيقُوا مَقْدُودْ
أَنَا لاَ حَدّْ اثْنِينْ رَافْدِينُوا وَمْدَافَعْ بَاهْيَه وَطَيّـــارَاتْ
أَنَا هُوَ هَزّْ لِيتيمْ وَالهَجَّالَه وَاسْكَنْ العَالْيــة مَا وَلاَّشْ»[1]

وفي متليلي أيضاً تتغنى النسوة ببعض الأشعار الخاصة بالثورة منها:

«كُنَّا تَحْتْ التْرَابْ المجُاهِدِين طَلّْعُونَــا
شَرْبُوا سَيْ[2] **النِّيَاق اللِّي طَلْعُوا الجبَلْ الوَاعَرْ**
لاَطْفَالْ لِيقدا وَلياميس وَدّْعُـــوا الدَّنْيَــا
سَكْنُوا رُوس الجْبالْ خَلاَّوْ اوْلاَدْهَم ايْتَامَة
عَنّهم رَاني نْجِيبْ يَا سَعْدِي زَايْرِين مَكّة»[3]

وأيضاً:

«أبْنِي سِيدِي مَتْلِيلِي عَالْيَـة

---

[1] – نصوص شفوية مدونة بحوزتنا

[2] – سي: الحليب.

[3] – نصوص شفوية مدونة بحوزتنا

دَعْوة وَلاَّ صَـلاَّحْ نَايْفَـــة[1]
فْرَانْسَـــا جَاتْنَـــا زَعْفَانَـــة
حْدِيدْهَا يَكْتَلْنَا وْطَالك حَاسْبَة
عَلّْقُوا لِيه المَدّايَات[2] وَالسّبـع
لَبْيَـــضْ وْرَاكَـــمْ مَيَايْـــرُوا
أَلْخَاوَا لاَ تَتهَانُوش فِي حْجـرْ
سِيـــدِي بُولَنْـــوَارْ[3] رَيّحُـوا
أَبْنِي شَيّبنِـــي بَابَاكْ قَالِّـــي
عَوْلَـــة رَبْعَـــة ايَّامْ وَلْقْـــطَا
أَبْنِي رَاهَمْ حَاشُوهَا بْعَشّْـــــهَا
شَرَاقة في السّلْكْ[4] بَايْتَـــة
يَا بْنِي مَا قَعْـدَتْ حَيَـــاةْ
يَا الله لِينَا بِيدِينَا نْطـــَارْدُوا»[5]

[1] – نايفة: لها العزة والشهامة.
[2] – المدايات: المظليات.
[3] – في رواية أخرى: مولاي سليمان.
[4] – في السلك: أي في السجن.
[5] – نصوص شفوية مدونة بحوزتنا.

مصادر ومراجع الدراسة:

– مختار بن محمد شنينة، إشراقات وسياقات من تاريخ الشعانبة: عرض لأكثر من 1500 حدث وخبر، مكتبة العزة في طاعة الله، متليلي غرداية 2019، د. ط.

– يوسف بن بكير الحاج سعيد، تاريخ بني مزاب: دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، المطبعة العربية، غراية، ط2، 2014.

– عبد الحليم بيشي، تطوّر الثّورة الجزائرية في ناحية غرداية، مخطوط رسالة ماجستير في التّاريخ، إشراف الدّكتور شاوش حبّاسي، جامعة الجزائر 2001، 2002.

– الشيخ لكحل، مقاومة منطقة متليلي الشعانبة للاستعمار الفرنسي في الفترة ما بين (1851 – 1908م)، دار صبحي للطباعة والنشر والتوزيع ط1 2019.

– أبو حميدة إبراهيم، ضاية بن ضحوة تاريخا، قبل وأثناء ثورة 1954، مطبعة الآفاق، نوفمبر2010.

– بوعلام بالسايح، أشعار الهوى والوغى لمحمد بلخير: نصوص من التراث الشعبي الجزائري، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 2007، د. ط.

– بن لخضر قدور بيتور، الدر المنثور من شعر بن لخضر قدور، جمع وتنسيق لعمش حسين وآخرون، دار صبحي للطباعة والنشر والتوزيع، متليلي غرداية ط1، 2020.

– العتلة محمّد، مخطوط ديوان الشّاعر الشّعبي الشّعانبي قدّور بلّخضر بيتور.

– عاشور سرقمة، المغازي في الشعر الشعبي عند شعراء الجنوب الجزائري مجلة الفنون الشعبية، المملكة الأردنية الهاشمية، وزارة الثقافة، ع/24، 2018.

– محمد عمر الدّعة وآخرون، سلسلة الأبطال، مج7، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

– سليمان بوغلابة، حصار 20 نوفمبر 1960م لقلعة المقاومة ومهد الثورة متليلي الشعانبة، دار صبحي للطباعة والنشر والتوزيع، متليلي غرداية، ط1 2015.

– لعمش بوعمامة، مخطوط كتاب على مدارج النضال للمجاهد محمد جبريط مصدق.